جريدة الأنوار

٩ أيار ٢٠٠٠ - الجزء الاول

ضفاء العرب

بصيص من نور (١)
المرأة/الرجل

تتميز سلسلة علوم الايزوتيريك عن سواها بأنها تتخذ من الإنسان محوراً... ولا تعالج أي موضوع لا يفيد تطور الإنسان. وكتاب «المرأة والرجل في مفهوم الايزوتيريك» هو كتاب المرأة - الانسان، والرجل - الإنسان في مسار التطور. فلكلمتي المرأة والرجل أبعاد تجعل الفكر يغوص عميقاً في كل ما كتب ويكتب عن علاقة هي في الاصل أساس بناء الحياة اولاً والمجتمع ثانياً.

خاصة ان واقع تلك العلاقة يضع المرأة في موقف غير متكافئ، تتنازعه الحيرة والأسى والشد العكسي.

وهو واقع حال الجمعيات النسائية ولجان الدفاع عن حقوق المرأة اذ تخوض صراع التحرر، صراع المساواة الكاملة بين المرأة والرجل.

فالمرأة التي كانت تمثل العنصر الضعيف على مر العصور (بحسب التاريخ الذي كتبه الرجل عنها) ما فتئت تطالب بحقوقها الى حد الثورة على الرجل ومحاولة التسلط عليه، ان لم نقل الثأر منه أحياناً... والرجل من ناحيته، والذي كان يمثل الحاكم المطلق داخل العائلة وخارجها، بات يجد في المرأة منازعاً يهدد وجوده وسلطته وتاريخه. فهل المرأة محقة بثورتها للمطالبة بحقوقها إسوة بالرجل؟ وهل الرجل عادل في تصلبه؟ ولا سيما أننا وسط هذه الصراعات نشهد العائلة كمؤسسة تتضعضع أو تنهار وبالتالي تتصدع البنية التحتية للمجتمع.

الإجابة عن هذه الطروحات تستلزم الوعي في تحليل أسباب صراع المساواة بين الجنسين الذي زُرِعَت بذوره مع بدء التاريخ المكتوب، وتمتد جذوره في أعماق حاضرنا، ويكادُ يهدد ظلامه مستقبل الأجيال الصاعدة من خلال تبادل الادوار... فمرة الظالم هو الرجل ومرة المرأة، فتتفاقم سوء المعاملة ويعود العنف الى الواجهة.

في خضم هذا الواقع المهين من جانب الرجل والمرأة معاً، ظهر كتاب «المرأة والرجل في مفهوم الايزوتيريك» (تأليف د. جوزيف مجدلاني - منشورات أصدقاء المعرفة البيضاء) ملقياً بصيصاً من نور، من وعي ومعرفة وتخطيط وتصميم مستقبلي، ومن دون مفاضلة بين جنس وآخر. يسلط الكتاب الضوء في دقة وشفافية وحكمة على الإنطلاقة الاولى للمرأة والرجل معاً... تكرست أو بالأحرى تقدست بالمساواة التامة بينهما، والمساواة اساس العدل، عدل الخلق.

ويسترسل الكتاب «ناكشاً» ماضي باكورة البدايات وصولاً الى الحاضر، ومنتهياً في المستقبل... واصفاً علاقة المرأة والرجل بالمقدسة. لان وجودهما هو الاقوى تقديساً لفعل الخلق!

يخبرنا الكتاب ان المرأة والرجل انضفا معاً في مرحلة ما من مفهوم الإنسان كوجود، وهذا الوجود هو حقيقة وحدة انعكبست من الإنسان الكامل في رجل وامرأة، وهذا الانعكاس امتداد، والامتداد مساواة أطلقها النظام الكوني العادل الحكيم. فهو (أي الكتاب) «محاولة تتصدى لاعتق مشكلة في التاريخ، الا وهي الثنائية» (على ما تذكر السيدة عايدة نصرالله الحلواني نائبة رئيسة لجنة حقوق المرأة اللبنانية في مقدمتها للكتاب). لكن لماذا تهتم علوم الايزوتيريك بهذه المسألة؟ يجيبنا الكتاب نفسه بالقول ان «مهمة الايزوتيريك جلاء الغموض وازالة الغبار عن كل ما يفيد الإنسان ويفتح وعيه. لان الايزوتيريك كما وصف البعض مؤلفاته هو «تاريخ وجود الإنسان وأصالته وإطلالة معرفته ونهج تطوره في الحاضر... نحو المستقبل البهي».

السر، كل السر يكمن في الوعي، لأنه المحور الذي يرسم بموجبه الإنسان دائرة وجودة ضمن مسار التطور والارتقاء صعداً نحو الاصل، نحو الوحدة الاولى، نقطة الانطلاق والهدف في آن واحد. و«الصعود هو الاسم الروحي للتطور» على ما يذكر الاب يوسف يمين في مقدمته للكتاب. يبدأ الكتاب بالقول «اكثر ما يلفت الانتباه في واقع مجتمعنا هو التمييز المجحف بين المرأة والرجل... واكثر ما يلفت الانتباه على مسار الباطن الإنساني - الايزوتيريك، هو تساويهما الاساسي».

لعله من الواضح ان التمييز بين المرأة والرجل في المجتمعات الشرقية خاصة، بدأ من اسطورة آدم وحواء. فحواء خلقت من ضلع آدم ثم أغوته فحرمته نعيمه في الجنة وكانت سبب خطيئته - بحسب الاسطورة.

❖ ❖ ❖

فلنتوقف هنا قليلاً ولنفكر في عمق ونتمعن... فتقويم الواقع في تجرد يجعلنا نلمس ان المجتمعات البدائية تبنّت المفهوم الحرفي لتلك الاسطورة، علماً انه لا مفكر على وجه الارض (رجلاً او امرأة) الا يدرك حق الإدراك ان للاسطورة، كل اسطورة، رموزاً هي كالقشور التي تحجب حقائق انسانية كبرى... فهل نتبنى القشور وننسى الحقائق؟

❖ ❖ ❖

يوضح الكتاب حقيقة أسطورة آدم وحواء بالعودة الى الاستيمولوجيا وعلم الكلم بدءاً برمز كلمة آدم، يوضحها على النحو الآتي:

«وجود الانسان على الارض لم يكن وجود فرد واحد. فالمقصود بالإنسان (آدم) هو شعب آدم».

أي شعب الإنسان الكامل في الزمن الذي كانت فيه الارض تجسد الكمال الإلهي - أي الارض - الجنة. ويوضح في مكان آخر «فالكمال لا يعي نفسه الا بالنقصان... والثنائية هي العنصر الفاعل الذي سيدفع الإنسان ليسعى... والسعي هو سبيل الاكتساب، سبيل التقدم والتطور. يسعى الانسان نحو الجزء الآخر ليكمل النقصان في نفسه. بذلك يتفهم النقصان ويتقدم نحو الكمال الذي انتقص منه، الذي كان هاجساً فيه». ولعل ذلك ما يفسر حقيقة التجاذب والانجذاب بين الجنسين. فالانجذاب هو الذي يتطور الى حب بين الرجل والمرأة. لكن أي انجذاب هو المقصود، وأي حب؟!

إن الثنائية التي تتوق الى وحدتها، الى كمال صفات تلك الثنائية المتمثلة بأجهزة أو بأبعاد الوعي السبعة (او كما اصطلح على تسميتها بالأجسام الباطنية) التي يتألف منها كل انسان كما توضحها علوم الايزوتيريك في الرسم البياني المرفق. فالجسد المادي ادنى تلك الأبعاد واكثرها كثافة، أما أعلاها واشدها شفافية فهي الروح. فحين ازدوج الإنسان الكامل الى رجل وإمرأة، تمدد الرابط الروحي بين النصفين فيما ازدوجت الأجسام الستة الباقية، فبات الرجل يحوي سبعة أجسام باطنية لكن الصفات الأكثر قوة واشد قابلية للاكتمال هي صفات وخصائص الأجسام الباطنية الثلاثة التالية: الجسم الأثيري (الوجود)، الجسم العقلي، وجسم الإرادة، وعليه تفعيل الأجسام الثلاثة الاخرى المتبقية. كذلك الأمر بالنسبة للمرأة فهي تحوي سبعة أجسام باطنية، لكن الاكثر فاعلية فيها هي الجسد المادي، المشاعر والتطبيق، وجسم المحبة، وعليها تفعيل الأجسام الثلاثة الأخرى، (الاثيري والعقلي والارادة).